فما ذكرت لاجل فالمناسبة بجهة عن الجهة التي سيق لها الكلام غير ملحوظة فهذه كالايات
موسى التسع لو عطف بعضها على بعض لم يحتج في المناسبة الى غير كونها دالة وكالمعجزات
الخاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم بعجائبها هي القرآن وتسبيح الحصا وانشقاق القمر ونحو ذلك
قوله تعالى الا من تولى وكفر زعم الصفوي ان مثل هذا الاستثناء مشكل لان المستثنى
فيه داخل في مفهوم المستثنى منه لكن حكم على ما عدا المستثنى وخرج المستثنى عن ذكر الحكم
فلذا قطع انما انفصل عن المتصل بعدم دخول المستثنى في مفهوم المستثنى منه واما الحكم
فهو مسكوت ولو فيما ذكر في هذه الاية ونحوها انما يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه لكنه
حكم عليه بحكم ليس هو نقيض حكم المستثنى منه ولا مثله هذا معنى كلامه وقال وصرح المفسرون
انه منقطع وكلام النحويين لا يساعده وفي الشفا فسر قيل متصل وقيل منقطع
سورة الفجر قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر معنى القسم جعل الله كفيلا وشاهدا
على مضمون المقسم عليه كما قال تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا وسمى القسم تعظيم المقسم به ولذا يوصف الله سبحانه عند الاقسام بالعظيم
دون الرحيم ونحوه فاعظم الله سبحانه القسم بهذه الامور المقسم بها هنا اعظاما لها
وتعظيم المكان دلالتها على عظم خالقها لما تضمن ذلك قوله تعالى رب العرش العظيم اللهم
رب جبريل وميكائيل واسرافيل وفي رواية ومحمد مع انه سبحانه رب كل شيء قوله تعالى
الم تر كيف فعل ربك بعاد يستدل على المقسم عليه المحذوف وما تقتضيه الايات بعده ونظمها والله
اعلم والمحال الى اخر القسم ان ربك بالغ امره ومتم حكمه المترتب على اختياره وحكمته من خلق
الدنيا للابتلاء والمجازاة للمبتلين بالخير والشر ثم ذكر لنا ما نعتبر به من بأسه مع العصاة
لنعلم ان امره في المستقبل من امره في الماضي فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ومن ذكر بعده
ثم عقل مجموع ما مضى بانه في المرصاد وكيف لا تم ما اراده ثم قال فاما الانسان الذي
سيق اليه ما سبق من هذه الافعال الحكمية فغافل عما اريد به وخلق لاجله حتى غفل
لاهماله النظر عن كون الدنيا انما خلقت للبلوى خيرها وشرها وقصر نظره على المنال
العاجل كبعض الحيوانات ترمى له بما يأكله ليغر وقد رميه بالحجر كالكلب فيقبل الذي يطعمه انه
ماكول واذا فعل بالانسان ما هو من صورة الاكرام من سعة في الرزق ومن رياسة ووجه
في الناس ادعى ان ذلك اكرام على الحقيقة مع خلوه عن الجزاء اذ ليس بكرمهم على زيد ونحوه ولقد كرمنا
بني ادم يعني بمجرد كون الخيرات له او لابد وكم من مكرم بخير من اكتسب والاكرام المحقق انما هو
ما كان الاهانة كالاعطاء ونحوه انه بلا تقدم موجب واما بسط النعم لجابر ولذا الفعل
تعالى فاهانه وقدر عليه رزقه مع مساواة ذلك للابتلاء ولما ليلا يصف الاهانة
الغير المستحقة الى الحكيم ولو مجاز الحلاوة الاكرام المجازي فانه ليس مستحقا ولذا عيب

على الانسان

١٣١

على الانسان نسبة الاكرام والاهانة اليه تعالى نزهها على كونه اهلا للاكرام بسبب عمله
عن اهله للاهانة ولذا اعرض عن كونه تعالى قدمه لانه مبني على الترفع والدعوى ونحوه
اهانه كالشكاية والتوجع ومنه ما تراه اليوم لدى سمو اجر فيهم علم الادب من الثناء والذم
المسندين الى الدهر لزعمهم انهم اهل الخير غير اهل الشر لجمعوا بين الزعم الغالب عن
وقبح اسناد الحوادث الى غير الله سبحانه في اصل فاما الانسان فلذلك غريب واعتبار
فاسد يعزل عن حقيقة الامر ومدلول الاية لدلالة الجملة القاضية بان التكلف في ما يتبعه
للبلوى وان العبد خلق للعبادة ثم ردع هذا المغفل عما هو عليه واضرب عن الحديث
الاول من شانه الى حديث هو اقوى في الدلالة على اعراضه عما يراد به وجهله
بحكمة الحكيم العليم ونزوله عن مقامات الكرام من اكرام اليتيم والحظ على طعام المسكين
قد شغله عن ذلك ما شغل الحيوان من همه الاكل وشهوة البطن يلم الاحمر والابيض
وكان التعبير بالتراث مثل التعبير بالحرث او فيه تنبيه على انه يستلذ ويتكاثر بتعبيره
ثم كذلك فما يستحق الاسم التراث ثم عيره انه يحب المال حبا جما ان ذلك لستلزم ان يطغى
ولذا ادوى من البخل ؛؛ دع المكارم لا تنهض لبغيتها ؛؛ واقعد فانك انت الطاعم الكاسي ؛؛
شكى المذموم بهذا البيت الى عمر فطلب حسان وقال انه هل ذم بهذا البيت فقال حسان
ما ذمه ولكن سلح عليه ثم ردع سبحانه من هذه اخلاقه وقال ههنا مبينا لا تعذر معه
على ترك التنبه عنده اذا دكت الارض الخ فح بالتفوت الى النظر ومن اين لكم الذكرى
الناقعة وغايته ما تحصلون عليه معرفة تفريطكم وتمني ما فات ونحوه فما كان دعواهم
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ونحو ذلك ثم اخبر سبحانه خبرا مشوبا بالوعيد
فقال فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد ونحوه وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ونحوها ثم اخبر سبحانه مبشرا المؤمن
ومعرضا بغيره كعادته سبحانه من ارداف وصف احد الفريقين بصفات الاخر وخص من
اوصاف المبشر الاطمئنان لانه عمود الخير به تقع التفاوت الكبير وانه بما اراينها النفس
المطمئنة الاية ويحتمل ان ذلك عند الموت او فيما بعده من المواطن وهي بمعنى انت
جديرة بذلك وامرها بما العز كقوله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار ونحو
ذلك كثير في الخير والشر اللهم انا نسالك الاطمئنان ومبشرات القران باحسان يا منان
سورة البلد قوله تعالى فلا اقتحم العقبة اي هلا فعل هذه النعم اللطيفة الجسيمة الشاملة
لمدة الدنيا باستعمالها فيما هيئت له من المنافع وللاخرة بالتوصل بها بالبصر والنطق
والتمكن من الاعمال الصالحة واجتناب القبائح لم يات بما كلف به من شكر المنعم وعمل ما اعد له
عقله من المعقولات واستحبابه الرسول والعمل بما جاء به وذكر امرين هين من خصيصة
الى نعم الله المتنزهة المتوازنة ثم كلف الله العبد على قدره ويقتضي حمده سبحانه ما قدر

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)